Mohammed Yassin AL MASHHADANI ¹

**MONEY, WEALTH, AND SOCIAL CLASSES IN IBN KHALDUN'S
THOUGH**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.8-3.32>

Research Article

Received:

22/09/2021

Accepted:

20/10/2021

Published:

01/11/2021

This article has been
scanned by iThenticat
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

That money and wealth in the thought of Ibn Khaldun had deduced it from Islamic economic thought, so he relied on the Holy Qur'an and the honorable Sunnah of the Prophet, and that money in Islamic Sharia is the provision that God Almighty brings to his servants, he did not specify the way he commanded his servants, but said: (God provides for whom He wills without reckoning), and since Ibn Khaldun divided this money and wealth in the way he saw it, he made the owners of prestige more money and wealth, and those who lacked prestige are less money and wealth, and that this division classified society into a wealthy owner and some of them are less than that and some of them live the subsistence limit of The livelihood, those who have high positions in the emirate and the Sultan are the owners of money and wealth and those who are less than them work in trade, and these are business owners but they do not have the prestige that earns them money, and those who work in the Imamate, oratory and fatwas are less fortunate than others in earning money and wealth, and God Almighty. I know that.

Key words: Ibn Khaldun, Money, Wealth, Prestige.

¹ Dr. , Sultanate of Oman, Moh1959@hotmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-7276-9992>

المال والثروة وطبقات المجتمع في فكر ابن خلدون

محمد ياسين محمود المشهداني²

الملخص

إن المال والثروة في فكر ابن خلدون قد استنبطها من الفكر الاقتصادي الإسلامي فاعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن المال في الشريعة الإسلامية هو الرزق الذي يأتي به الله سبحانه وتعالى إلى عباده فلم يحدد الطريقة التي أمرها لعباده وإنما قال: (يرزق الله من يشاء بغير حساب)، وبما أن ابن خلدون قسم هذا المال والثروة بالطريقة التي رآها فإنه جعل أصحاب الجاه هم أكثر مالاً وثروة، والذين فاقدين للجاه هم أقل مالاً وثروة، وأن هذا التقسيم صنف المجتمع إلى مالك للثروة ومنهم أقل من ذلك ومنهم من يعيش حد الكفاف من الرزق، فالذين لهم مناصب عالية في الإمارة والسلطان فهم أصحاب المال والثروة والذين أقل منهم يعملون بالتجارة، وهؤلاء أصحاب أعمال ولكن ليس لهم الجاه الذي يكسبهم المال، كما أن الذين يعملون بالإمامة والخطابة والفُتيا فهم أقل حظاً من غيرهم في كسب المال والثروة، والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، المال، الثروة، الجاه.

المقدمة:

ذكر ابن خلدون في مقدمته عن المال وأهميته في حياة الشعوب وخصص له باب وفصول وضح فيها القيمة العظمى للمال وما يقدمه للمجتمع عندما تكون هناك إدارة اقتصادية تهتم بالجوانب الحياتية للبشر، ثم انه حدد أهمية المال وتوزيع الثروة بشكل يخدم كل شرائح المجتمع لحياة أفضل.

أهمية البحث:

أن المال والثروة في المجتمع لها أهمية كبيرة لتأثيرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في حياة البشر ولا بد يكون هناك قوانين تسن لتنظيم هذه الثروة لكي لا تقع بأيدي مجموعة قليلة من الناس يؤدي الى التحكم بمصير الأغلبية التي ستكون دون المستوى المطلوب لحياة كريمة يعيشها الناس.

أهداف البحث:

أن الهدف الأساس من البحث هو كشف ما قدمه ابن خلدون قبل سبعة قرون من دراسة في أمور المال والثروة وكيف تعاملت إدارة الدولة على جعل المال تحت يد السلطة المركزية بعد ما يتم توزيع ما يستحقه المجتمع من أساسيات ومتطلبات الحياة الاجتماعية.

هيكل البحث:

تضمن البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة والمصادر والمراجع إلى ما يأتي:

المبحث الأول: المال شرعاً واقتصاداً.

المبحث الثاني: طرق الحصول على المال والثروة عند ابن خلدون.

²د.، سلطنة عمان، Moh_1959@hotmail.com

المبحث الثالث: طبقات المجتمع من حيث المال والثروة

المبحث الأول: المال شرعاً واقتصاداً.

1. المال شرعاً:

المال في اللغة: قال ابن سيده: قال سيبويه مال إما أن يكون فاعلاً ذهب عينه، وإما أن يكون فَعْلاً من قوم مَالَةٍ ومَالِينَ، وامرأة مَالَةٌ. وما أَمْوَلُهُ أي ما أكثر ماله، والجمع أموال. (ابن منظور، 2010م، ص).

المال معروفٌ ورجلٌ (مالٌ) كثيرُ المالِ، و (تموّل) الرّجلُ صار ذا مالٍ، و (مَوَّلَهُ) غَيَّرَهُ (تَمَوَّلًا). (مختار الصحاح، 2015م، ص).

قال ابن الأثير: المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يُقْتَنَى ويمْلِك من الأعيان، وأكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم. (ابن منظور، 2010م، ص).

2. المال الشرعي:

هو المال الذي يمكن حيازته والانتفاع به على الوجه الشرعي. أو هو كل ما يباح الانتفاع به بصورة حقيقة وشرعية. وقد جاء لفظ المال في الآيات القرآنية، مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ (القرآن الكريم، سورة النور، الآية 33) ومعنى ذلك أن الذي بيده أمر هؤلاء الناس المكتبة على قدر من المال إذا علم فيهم خيراً، (التفسير الميسر، 2010م، ص) والمقصود بالمال كل ما يمكن تملكه والحصول على منفعة للعبد من ذلك المال، وأن المالك الحقيقي لكل الأشياء هو الله، وأما الإنسان فإنما هو مخول فيما امتلكه من مال الله الذي منحه إياه. وقال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 46).

والفائدة من ضبط ماهية المال في الاصطلاح الشرعي هي الحصول على أحكام محددة وواضحة في القضايا المتعلقة بالمال، فما لا ينتفع به شرعاً لا يعد مالا، وما لا يمكن حيازته لا يعد مالا. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَيْنَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَيْنَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدَيْنَارٌ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ. وَدَيْنَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِيكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِيكَ» وقوله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن... وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه)

تعريف المال في الفقه:

المال عند الشافعية والمالكية: ما يملك ويمكن الانتفاع به، فيدخل في تعريفه المنافع مثل: سكنى الدار فإنها تعد مالا، وأما ما لا يمكن حيازته فلا يعتبر مالا ولو أمكن الانتفاع به كالهواء وضوء الشمس وحرارتها، وأما ما يمكن حيازته فيعد مالا كالحيوان في الفلاة، والسّمك في الماء، والطير في الهواء. والعرف هو الذي يحدد ما هو مال شرعاً وما ليس بمال واختلاف الفقهاء في تحديد ماهيته يرجع إلى الاجتهاد الذي تبناه العرف، فالمال عند الجمهور هو كل ما له قيمة يلزم متلفه ضمانه، وأما عند الحنفية فإنهم يفرقون بين المال وبين الملك، فالمال عندهم: ما يملك من الأعيان ويمكن ادخاره لوقت الحاجة، وأما الملك فهو المنافع والحقوق، فمنافع الأعيان كسكنى الدار وركوب الدابة لا تعد مالا لعدم إمكان إحرازه، والحقوق كحق الحضانة وحق الولاية وحق التأليف وحق الاختراع وغيرها لا يعد مالا عند الحنفية. وأما عند الجمهور: فالمنافع تعد مالا؛ إذ ليس من الواجب في المال إمكان إحرازه بنفسه، بل يكفي بإمكان حيازته بحيازة أصله ولا شك أن المنافع يمكن حيازتها، فالمستأجر للدار يملك حق الانتفاع بالسكنى، ولا يملك الدار. فالمنافع والحقوق عند الجمهور هي مال؛ لأنها هي المقصودة من الأعيان، ولولاها لما رغب الناس فيها.

المال اقتصاداً:

المال: هو العملات التي تُستخدم لشراء الخدمات والسلع، وقد يرتبط المال بوجود الكثير من الثروة، (ميراندارز، 2009م، ص) ويُعرّف المال بأنه كافة الأوراق والقطع النقدية المستخدمة في شراء الأشياء، ومن الممكن توفير المال عن طريق حفظه في حسابات مصرفية. (ميراندا رزق، 2009م، ص) من التعريفات الأخرى للمال هو عبارة عن الوسيلة المستخدمة لحصول الناس على أشياء متعددة، وقد يُستخدم المال في أسواق الأسهم، أو بهدف إنشاء مشروعات متنوعة. (سيد كاسب، 2009م، ص)، والمال مصطلح اقتصادي يمثل النقود التي يمكن تخزينها دون أن تفقد قيمتها، وهي المقياس لقيمة السلع التي يحتاجها الإنسان في حياته.

أهمية المال: ظهرت أهمية المال بصفته من أهم الاختراعات التي وصل لها الإنسان؛ مما أدى إلى أن يصبح المال من الأمور الأساسية في حياة كافة الأفراد في المجتمعات، وتوضح هذه الأهمية بناءً على النقاط الآتية:

- 1- يعدّ المال من أهم الوسائل التي تدعم القوة الشرائية الخاصة بالمستهلكين، ويعتبر المكوّن الأساسي للدخل الذي يعتمد عليه بصورته النقدية، وأيضاً اعتمد قطاع الاقتصاد على المال بشكل رئيسي؛ بسبب دوره في التحكم بطبيعة رغبات الأفراد، والمقادير التي يريدون الحصول عليها من السلع والخدمات.
- 2- يدعم المال عملية الإنتاج؛ لأنه يساهم في تمكين أصحاب المنشآت لاتخاذ القرارات المناسبة، والخاصة في أولوية إنتاج المنتجات أو تحديد كميات معينة منها. يعتبر المال من الأشياء الملازمة للتخصص في العمل بمعنى تقسيم العمل؛ حيث يوجد الكثير من العمال القادرين على الإنتاج والعمل، ويحصل كلٌّ منهم على نصيبه من المنتجات أو من الأجور المالية؛ من أجل استهلاكها أو ادخالها. (حشيش، 2003م، ص)

مجالات التمويل باستخدام المال يعتمد استخدام المال ضمن قطاع الأعمال على مجموعة من المجالات الرئيسية التي تساعد المنشآت على تمويل أعمالها، ومن أهم هذه المجالات:

- 1- **تمويل الشركات:** هو من المجالات المهمة التي يُستخدم فيها المال؛ إذ يعتمد على طبيعة الإجراءات التي تُطبقها المنشآت أثناء اتخاذ قرارات التمويل، ويجب على أصحاب المنشآت معرفة كيفية التعامل مع المال؛ وخصوصاً عند دفعه مقابل شراء مخزون للعمل، كما يساهم تمويل الشركات في تفعيل العديد من المجالات، مثل التحليل المالي، وإدارة رأس المال، ودعم تطور البيانات المالية، وغيرها.
- 2- **الاستثمار:** هو المجال المالي الثاني المستخدم في بيئة الأعمال التجارية، وخصوصاً الكبيرة منها؛ إذ تعتمد المنشآت على الاستثمار في الأوراق المالية المتنوعة، سواءً أكانت قصيرة الأجل أم طويلة الأجل، كالسندات والأسهم، وأيضاً قد يتم الاعتماد على الاستثمار في الأصول المادية مثل الأراضي.
- 3- **المؤسسات والأسواق المالية:** هي المجال الثالث من مجالات استخدام المال في التمويل، وتشمل كافة الأسواق التي تتعامل مع مختلف أنواع المال، مثل الأسواق المالية الأولية والثانوية، وأسواق السندات والأسهم، وأسواق رؤوس الأموال، وتساهم المؤسسات المالية في دعم هذه الأسواق؛ من خلال عملها على تطبيق الوساطة المالية أثناء تنفيذ التحويلات المالية بين المدخرين (وكلاء التجارة) والشركات.

المال عند ابن خلدون:

يقول ابن الحاصل أو المقتنى، أن عادت منفعتُه على العبد، وحصلت له ثمرته، من إنفاقه في مصالحه وحاجاته سُميّ ذلك رزقاً. وإن لم ينتفع به في شيءٍ من مصالحه ولا حاجاته فلا يُسمّى بالنسبة إلى المالك رزقاً. لقد ربط ابن خلدون المال بالمنفعة وسد الحاجات معتبراً الرزق هو المال مستنداً الى قوله تعالى (فَاقْبَلُوا بِرِزْقِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، سورة العنكبوت، الآية 17)، والسعي إلى هذا الرزق أو المال بأقدار الله تعالى والهامة، والمُتملّك منه حينئذٍ بسعي العبد وقدرته يُسمّى كسباً، ثم أنّ الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمةً لكلّ متمولٍ، وهما الذخيرة والقنية. وأطلق عليه اسم المعاش وهو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وقسم المعاش إلى طبيعي وغير

طبيعي، فالمال الطبيعي هو المتأتي من الأعمال الطبيعية مثل الفلاحة والتجارة والصنائع، واما غير الطبيعي فهي الأعمال المرتبطة بالخدمة في الإمارة والسلطان وما إلى ذلك من أمور في إدارة الدولة.

واعتبر ابن خلدون في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي وأن هذه الأموال دفنت من الأمم السابقة وأن البحث عنها من تحت الأرض للذين يملكون العقول الضعيفة، والذي يحمل على ذلك في الغالب، زيادة على ضعف العقل، إنما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفلاح والصناعة، فيطلبونه بالوجوه المنحرفة، وعلى غير الوجه الطبيعي، من هذا وأمثاله، عجزاً عن السعي في المكاسب، وركوناً إلى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه، ولا يعلمون أنهم يُوقعون أنفسهم بابتغاء ذلك، من غير وجهه، في نصب ومتاعب وجهد شديد من الأول، ويعرضون أنفسهم مع ذلك لمآل العقوبات.

أن المال عند ابن خلدون مأخوذ من الفقه الإسلامي مستنداً إلى القرآن والسنة النبوية كقوله تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) (القرآن الكريم، سورة الجاثية الآية 13) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما لك من مالك ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) (مسلم، ص7420)، وأنه عرضه بطريقة مختلفة من حيث أسلوب الكسب والعمل على تحقيق ذلك المال وأكد على شرعية هذه الأموال التي تتحصل بالعمل والجهد. لقد ركز في مقدمته على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في تحقيق الكسب والمعاش فقوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 212)، واعتبر أن المال هو مال الله سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان، وأن يد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه، بما جعل الله له من الاستخلاف، وأيدي البشر منتشرة، فهي مشتركة في ذلك، وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوضي، فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف، وسعى في اقتناء المكاسب، لينفق ما آتاه الله منها، في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها، قال الله تعالى: (فابتغوا عند الله الرزق)، (القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 17).

المبحث الثاني: طرق الحصول على المال عند ابن خلدون.

لقد حدد ابن خلدون طرق الحصول على المال والثروة في عصره حيث قال: إننا نجد صاحب الجاه وال حظوة في جميع أصناف المعاش أكثر يساراً وثروة من فاقد الجاه، والجاه: المنزل والقدرة عند السلطان، وحكي اللحياني: أن الجاه ليس من وجة، وإنما هو من جهته ولم يفسر ما جهته، وقال الجوهري: فلان ذو جاه وقد أوجّهته أنا ووجهته أنا أي جعلته وجهاً، وقال أبو بكر: قولهم لفلان جاءه أي منزلة وقدر (ابن منظور، 2010، ص).

وقد قدم ابن خلدون السبب في ذلك بقوله: "أن صاحب الجاه مخدم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل الترف والحاجة إلى جاهه، فالتاس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري أو حاجي أو كمال: فتحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الأعواض من العمل، ويستعمل فيها الناس من غير عوض"، وهنالك يتضح لدينا بأن المال الذي يمتلكه صاحب الجاه وبحسب السبب الذي قدمه ابن خلدون فإن الناس تتقرب منه وتقدم له الخدمات والأعمال دون مقابل ولهذا يزداد المال الذي يمتلكه دون أي اجتهاد من قبله، ثم يقول ابن خلدون فتتوفر قيم تلك الأعمال عليه، فهو بين قيم للأعمال يكتسبها، وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها، فتتوفر عليه، والأعمال لصاحب الجاه كثيرة، فتفيد الغني لأقرب وقت، ويزداد مع الأيام يساراً وثروة، ولهذا المعنى كانت الإمارة أحد أسباب المعاش"، وعني ابن خلدون بالإمارة التي هي إحدى الطرق للحصول على المال والثروة وتقدم لصاحبها المال والثروة بسهولة ويسر ويقول ابن خلدون: "ثم أن الجاه متورع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية، وفي السفلى إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة، حكمة الله في خلقه"، وهذا معنى قوله تعالى: (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية 32)، ومما تقدم من أفكار لدى ابن خلدون فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسية وعلى أغراضه فيما سوى ذلك.

أما الطريقة الثانية للحصول على المال عند ابن خلدون فهي طريقة العمل المشروع والكسب من خلال الأعمال المتوفرة والتي على رأسها التجارة، حيث يقول: وفقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مالٍ فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله وعلى

نسبة سعيه وهؤلاء هم أكثر التجّار ولهذا نجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير حيث أن مبدأ التجارة سائد في ذلك العصر أنهم أكثر حظوة من غيرهم في ممارسة الأعمال التي تأتي بالأرباح على رغم مخاطر العمل الذي يقومون به، وأن هؤلاء على نوعين فمنهم صاحب تجارة وجاه وهذا النوع أكثر ثروة ومالاً ومنهم ليس له جاه ويبقى عمله في التجارة ولهذا فهم قليلاً المال قياساً إلى أصحاب الجاه والتجارة.

يقول ابن خلدون: "أعلم أنّ التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمّى ربحاً فالمحاول لذلك الربح: إما أن يختزن السلعة ويتحجّن بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإما ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجّار الطالب الكاشف عن حقيقة التجارة: أنا أعلمها لك في كلمتين: (اشترأ الرخيص، وبيع الغالي فقد حصلت التجارة)، " وأن محاولة ابن خلدون في تفسير التجارة بهذا الأسلوب فأنها تكون أقرب إلى الاحتكار فلا يستطيع تاجر أن يشتري بالرخيص وبيع بالغالي إلا إذا خزنها في مستودعه إلى حين شحتها في الأسواق لأجل بيعها بالغالي وكذلك الحال إذا نقلها إلى بلد آخر تشح به السلع فهذا هو عين الصواب فقد أصبحت تجارة منقولة إلى بلد غير البلد الموجودة السلع فيه وهذا من الأصول الشرعية في التجارة وإنه استشهد بقول أحد شيوخ التجارة بقوله: اشتراء بالرخيص وبيع بالغالي فهي ناقصة المعنى، فالتجارة أصبحت فن من فنون الاقتصاد حيث دراسة الأسواق وكذلك دراسة الأحوال المعاشية لهذا البلد أو غيره حتى يستطيع التجار نقل بضائعهم إلى ذلك البلد ذو الثروة والمال وسعة الحال وتوفر الأحوال العامة لكي يستطيع التجار مزاوله هذه المهنة بشكل صحيح وأن الربح الذي يجنونه من تجارتهم يكون ذا قيمة عالية، وكل هذا فان التوفيق والنجاح بهذه التجارة تكون بعون الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

أما الطريقة الثالثة للحصول على المال والثروة لدى ابن خلدون قد وصفها بالشكل التالي (في أنّ السعادة والكسب إنّما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق وأنّ هذا الخلق من أسباب السعادة)، والسعادة: من السعد: الأيمن، وهو نقض التحس والسعادة: خلاف الشقاوة، يقال: يوم سعد ويوم نحس، وقد يسعد يسعد سعدا وسعادة فهو سعيد: نقيض شقي مثل تسليم فهو سليم، وأسعدّه: أنما يوم سعد وكوكب سعد (ابن منظور، 2010م، ص430) لقد ربط ابن خلدون السعادة بالكسب أي كسب المال وجعلها صفة متلازمة فيما بينها والكسب: طلب الرزق.. أصله الجمع كسب يكسب كسباً، وقال سيبويه: "كسب أصاب، واكتسب: تصرّف واجتهد"، قال ابن جني: "قوله تعالى: ولها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 286) عبر عن الحسنه بكسبت وعن السيئة اكتسبت لأنه معنى الكسب دون معنى اكتسب لما فيه من الزيادة، وذلك أن كسب الحسنه بالإضافة إلى اكتساب السيئة (ابن منظور، 2010م، ص482)، ويقول ابن خلدون: "أن الكسب الذي يستفيده البشر إنما هو قيم أعمالهم، ولو قدر أحد عطلاً عن العمل جملةً لكان فاقداً للكسب بالكليّة، وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة الناس إليه يكون قدر قيمته، وعلى نسبة ذلك نحو كسبه أو نقصانه"، ومعنى عطل: خالي وترك الشيء ضياعاً (الفيروز آبادي، 2003م، ص)، وهذا مقياس أصحاب المال والثروة ويقاسون على قدر أعمالهم التي تجنى لهم المال الوفير والجاه عند الناس لحاجتهم إليه فله منزلة عظيمة فهو صاحب المال والثروة، ويستند ابن خلدون في تحديد الثروة والمال إلى المكانة التي يحصل البشر عليها بين الناس حيث يقول: "أنّ الجاه يفيّد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم وفي دفع المضارّ وجلب المنافع، وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الأغراض في صالح أو طالح، وتعتبر تلك الأعمال في كسبه وقيمتها أمواله وثروته له فيستفيد الغني وليسار لأقرب وقت"، ويتضح من ذلك أن الناس يتقربون إلى أصحاب الجاه بأعمالهم فلا يطلبون منهم إلا الرضا ويقدمون لهم الأعمال بالمجان وبذلك يزداد صاحب الجاه مالاً وثروةً لأنه يكسب ماله بدون جهد وتعب ويحصل على ما يحتاجه من أعمال غيره ويزداد ثراءً ومالاً ولو أن ابن خلدون يحدد وقت قصيراً لذلك إلا أنه يحصل على مال وثروة، ثم استدرك ابن خلدون عندما ربط السعادة بالجاه وأن صاحبها يمتلك الخير كله وهو منعم عن غيره حيث يقول: "وأن الجاه متفرغ وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت أنّ بذله وإفادته من أعظم النعم وأجلّها، وأنّ باذله من أجل المنعمين وإنّما يبذله لمن تحت يديه، فيكون بذله بيدٍ عالية وعن عزة فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وتملق".

أن الخضوع: التواضع والتطامن، خَضَعَ يَخْضَعُ خَضْعاً وَخُضُوعاً وَخَتَضَعَ: ذل ورجل اخضع وامرأة خَضَعَاء: وهما الراضيان بالذل، واخضعتني إليك الحاجة (ابن منظور، 2010م، ص96)، وقوله تعالى (ولا تَخْضَعْنَ بالقول فَيُطْمَعِ الذي في قلبه مرض) (القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 32)، الخُضْع: الانقياد والطاعة وخضع الإنسان خضعاً: أمال رأسه إلى الأرض أو دنا منها (ابن منظور، 2010م، ص97)، أما التملق: أصله من ملق: الملق: الود واللفظ الشديد، وأصله التليين، وتملق له تملقاً وتملاقاً: أي تودد إليه وتلطف له وفي الحديث: ليس من خُلُقِ المؤمن التملق، وهو بالتحريك الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، ورجلٌ ملقٌ: يعطي لسانه ما ليس في قلبه (ابن منظور، 2010م، ص265)، ويتضح من ذلك أن هذه الصفات التي جعلت أصحاب الجاه يرغبون في إخضاع الناس لهم بالتودد والتملق التي هي ليس من صفات المؤمنين، ويقول ابن خلدون: "فلذلك قلنا إنَّ الخضوع والتملق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة، والكسب، وأن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا الخُلُق، ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم، ولا يحصل لهم غرض من الجاه، فيقتصرون في التكسب على أعمالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة"، وبذلك فإن ابن خلدون قد فصل بين الناس من أهل الخضوع والتملق وبين أهل الترفع والشمم الأولى هم الذين يحصلون على الأموال التي قد ترفعهم درجة إلا أنها لا يدوم عليهم ذلك، أما أصحاب الترفع والشمم وأصحاب العزة والكرامة فلا نجد لهم مال وثروة بل أن ترفعهم جعلهم أقرب إلى الفقر وهذا يدل على أن هؤلاء لا يطمطئون رؤوسهم من أجل المال بل أن حاجتهم إلى المال قد تكون معدومة فيكتفون بما لديهم وهم أصحاب الحمد والشكر لله رب العالمين، ولقد قسم ابن خلدون أصحاب المال والثروة إلى أقسام فمنهم من لديه الجاه والسلطة وهذا النوع سوف يحصل على المال والثروة بما يمتلكه من القوة التي منحتة بسبب وجوده في السلطة التي تعطيه الحق في تملك المال والثروة وهؤلاء أما أن يكونوا في أعلى هرم في السلطة أو في مستويات أقل وبذلك فيبدهم المال والثروة وتحت تصرفهم المال العام يسومونه كيفما شاءوا، أما أهل العمل المشروع والكسب الحلال فهؤلاء يكونون أصحاب ثروة ومال من خلال مشاريعهم التي تدر عليهم بالمال والثروة وهم على نوعين فمنهم يكتفي بما لديه من المال يتكسب من خلالها على المال وهؤلاء وصفهم بالتجار الذين لديهم فقط تجارتهم، وأما الذين يملكون السلطة والجاه مع التجارة فهؤلاء أكثرهم حظاً من غيرهم للحصول على المال والثروة، أما الصنف الثالث فهم أصحاب الخضوع والتملق الذين يأتيهم المال والثروة عن طريق الذل والكذب فهم يعتمدون على السنتهم التي تنطق بالكذب والغش الذي من خلاله ينالون حظاً من المال وهذا خُلُق غير محمود فهو مذموم ولا يليق بالذين امنوا بالله أن يكون بهذا المستوى المتدني الذي وأن حصل صاحبه على المال فإنه لا يدوم ذلك والله أعلم.

المبحث الثالث: طبقات المجتمع من حيث المال والثروة.

أن العصر الذي عاش به ابن خلدون هو العصر الثامن الهجري أي أنه بعد احتلال هولاء لبلاد وأصبحت الدولة العربية لبني العباس لا وجود لها، وأن العرب أصبحوا دويلات صغيرة تخضع لهؤلاء أو إلى أولئك من غير العرب أمثال المماليك وغيرهم، وأن علماء ذلك العصر يقدمون علمهم على حسب ما يعيشونه من ظروف وأحوال تلك الأيام التي مرت بالمجتمع لذا فإن نظرة ابن خلدون لما يراه من عصره قد قدم نموذج المجتمع الموزع على مستويات اسمها طباق ولكل طبقة لأهلها تعمل من أجل الحفاظ عليها دون مستوى أعلى أو أدنى، حيث يقول ابن خلدون: " ثم أن كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة أو إقليم لها القدرة على من دونها من الطباق، وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد هذا الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه، والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فإن كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك، وإن كان ضيقاً وقليلاً فمثله"، لما تقدم فإن ابن خلدون قسم المجتمع إلى طبقات كل يعمل على حسب طبقته وحياته التي يحييها في ذلك المجتمع، فالطبقة الأولى اسمها طبقة أصحاب الجاه وهؤلاء هم على القوم أي السلطان أو الوالي أو الملك في ذلك الإقليم أو المدينة بحسب ما يكون عليه من تطور في العمران أو قوته، وهذه الطبقة تشمل كل من يعمل معهم ويخدمهم في أعمالهم التي يقومون عليها فسلطان له حاشية وعمال يقومون على إدارة الإمارة التي تدير الإقليم وبذلك فلهم الحظ الأوفر في الحصول على المال والثروة فهم مقربون إلى الوالي أو الأمير الذي يدفع لهم المعاش الأفضل وبالتالي فإن حياتهم مترفة ولهم ثروة جيدة تضعهم موضع التقدير والاحترام، فإذا كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه متسعاً أيضاً ولا فن الضيق هو السائد على تلك الطبقة من المجتمع، ومن هذا اشتهر بين

الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ، وأنه قد حُورِب بما رُزِق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه، ومن خُلق لشيء يُسر له : مستنداً إلى حديث عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ فقال : "نعم قال: قيل: ففيم يعملُ العاملون؟ قال: "كُلُّ مُيسَّر لما خُلق له" (البخاري، 2008م، ص1332) سبحانه الله الذي يسرى لكل إنسان ما يمنحه له بقوله تعالى "والله يرزق من يشاء (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 212)، والاعتقاد السائد هو معاملة إرفادهم (الفيروز آبادي، 2003، ص270)، والرفد: العطاء، والصلة، والارفاد: الإعانة، والإعطاء، فأخلص الناس في أعانتهم، وأسّرت إليهم الثروة وأصبحوا مياسير من غير مال مُغتنى فينمو ماله، ويعظم كسبه، وكل ذلك من أقدار الله ومعونته لأجل أن يكون في المكان الذي خُلق لأجل ويتم قوله سبحانه وتعالى "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (القرآن الكريم، سورة النجم، الآية 39)، ويحصل له من الثراء والمال ما لم يحصل لغيره.

أما الطبقة الثانية عند ابن خلدون فهم فاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مالٍ فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه، وهؤلاء هم أكثر التجار، وأن هذه الطبقة من المجتمع قد قدر أن يكون منزلتها في وسط المجتمع الذي ميزهم عن غيرهم وقسمهم ابن خلدون إلى نوعين نوع يمتلك الجاه والتجارة وهؤلاء ميسورين ولهم ثروة كبيرة، وأما النوع الآخر فلا يملكون الجاه وإنما فقط التجارة فيكون حالهم حسب سعيهم في حصولهم على الثروة والمال وكسبهم من تجارتهم، مما يدل على أن ذلك حسب ما يكون، وابن خلدون يقول: "إن كان له مالٌ فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله وعلى نسبة سعيه ذاهباً وآيباً في تنميته فأكثر التجار وأهل الفلاحه في الغالب وأهل الصنائع كذلك"، ولقد أضاف ابن خلدون لهذه الطبقة فئة من الناس أسماهم الفقهاء وأهل الدين والعبادة حيث قال: "أنا نجد كثيراً من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهروا حسن الظن بهم فاخلص الناس في أعانتهم على أحوال دنياهم والأعمال في مصالحهم ويتأثّل الغنى من غير سعي، ويعجب من لا يفتن لهذا السرّ في حال ثروته وأسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى: "يرزق من يشاء بغير حساب" (القرآن الكريم، سورة ال عمران، الآية 37)، وبذلك تصبح هذه الطبقة ليس علو كبير مثل أصحاب الجاه وإلى الطبقات البسيطة التي لا تملك من الدنيا إلا الرمق وفق الحال، أما الطبقة الثالثة التي حددها ابن خلدون فهي تشمل على معظم البشر الذين يعيشون في المجتمع وقد وصفهم بقوله: "في أن القائمين بأمور الدين في القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والإذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب" وهذا أن دل على شيء فأنا يدل على سبب معين ذلك لأن ابن خلدون أعطى السبب في ذلك: أن الكسب قيمة الأعمال، وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها، فإذا كانت الأعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به، كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها اشد، وأهل هذه الصنائع الدنيّة لا تُضطرّ إليهم عامّة الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص فمن أقبل على دينه وأن احتيج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات، فليس على وجه الاضطراب والعموم؛ فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر، وإنما يهتم بهم وإقامة مراسمهم صاحب الدولة، بما له من النظر في المصالح، فيقسم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قررناه، لا يساويهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع الضرورية، وأن كانت بضاعتهم أشرف من حيث الدين والمراسم الشرعية، لكنه يقسم بحسب عموما الحاجة وضرورة أهل العمران، فلا يصح في قسمتهم ألا القليل"، فأن هذه الطبقة من المجتمع ليس لها الحظ الوافر في الحصول على المال والثروة فيعتمدون في قضاء حاجاتهم على ما يمنحهم الأمير أو السلطان فيرزقهم الشيء اليسير وتجدهم حد الكفاف وهم بذلك أقل فئة من الناس تتوفر لديهم المال والثروة، ولأنهم لا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً يستدرون به الرزق، بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على أعمال الفكر والبدن، بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم، فلذلك لا تعظم ثرواتهم في الغالب.

الخاتمة

لقد خصص ابن خلدون في مقدمته أبواب وفصول تحدث فيها عن أهمية المال في حياة البشر، ثم تطرق إلى تكوين الثروات لدى بعض من فئات المجتمع، وكيف نمت هذه الثروات والأسباب التي أدت إلى ذلك مما أدى إلى تكوين طبقات اجتماعية متفاوتة في المجتمع الواحد وحتى في المدينة الصغيرة. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج منها.

- 1- كشفت الدراسة إلى أن نظرية المال عند ابن خلدون لا تختلف عن النظرية الإسلامية اتجاه المال، وكيف يتحصل عليه بالطرق الشرعية.
- 2- توصلت الدراسة إلى أن ابن خلدون قد حدد ملامح جمع الثروة بطرق مختلفة وكانت على رأس هذه الأمور هي عملية التملك الذي هو من الأخلاق الرذيلة والدنيئة.
- 3- وضحت الدراسة أن الجاه من أساسيات الحصول على المال والثروة، وقد يمتلك هؤلاء الأشخاص الجاه والمال فيصبح بذلك قوة وسلطة.
- 4- بينت الدراسة أن المال والسلطة أدت إلى تشكيل طبقات في المجتمع تفاوتت إمكانياتها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

القرآن الكريم.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1058م).

مقدمة ابن خلدون، تحقيق، مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 2007م).

ثانياً: المراجع.

كاسب، سيد. أساسيات الاقتصاد الإداري، جامعة القاهرة، (مصر، 2009م).

ميراندا رزق. النقود والبنوك، جامعة بنها، (مصر، 2008م).